من النظم إلى الأسلوب

مدخل نظري لدراسة أنماط الاستبدال اللغوي في العبارة القرآنية

أ.د. عبد الوهاب محمد علي العدواني
كلية الآداب / جامعة الموصل

لقد شغل الناس بالقرآن الكريم منذ عهد النبوة حتى الآن ، لما جاء به من جديد في أساليب التعبير ، وما عرضه من النظم وأسرار التشريع ، وما رسمه للحياة الانسانية من دساتير اجتماعية ، واقتصادية ، وسياسية ، وعلمية ، زلزلت دعائم الحضارتين الفارسية والبيزنطية يومئذ ، فصحت البشرية على نداء الدين الجديد الداعي إلى الحرية ، والسلام ، والعدل ، والتضامن الاجتماعي والانساني ، فأنضوت تحت لوائه الأمم والشعوب ، وعلا صوت الحق : (يا ايها الناس إنا جعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير) (١) .

ولما كان العرب اصحاب فصاحة وبيان رفيع ، فقد نزل القرآن بلسانهم ، وبفصاحة منطقهم ، فاهتزوا لعظيم بيانه ، وأخذهم الإعجاب به ، والدهشة منه ، حتى قال قائلهم : «إنّ لقوله لحلاوة ، وان اصله لعذق ، وإنّ فرعه لجناه ، وما انتم بقائلين من هذا شيئاً» (٢) . فتحداهم الباري – عز وجل – بأن يأتوا بمثله : (قُل لئن اجتمعت الإنسُ والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) (٣) ، او بمثل سورة منه (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين) (٤) ، فعجزوا لأن القرآن كان تحدياً لعبقريتهم

* مستل من رسالة طالب الماجستير عز الدين محمد امين سليمان، الموصل ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

(١) الحجرات – آ : ١٣ .
(٢) ابن هشام – السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا وخرين ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ط ٢ : ١/٢٧٠ .
(٣) الاسراء – آ : ٨٨ .
(٤) البقرة – آ : ٢٣ .

اللغوية بنظمه ، وجودة سبكه ، ونمط تعبيره ، لتنكشف منه الظاهرة الإعجازية ، وليستقيم امر النبوة ، واتأخذ الرسالة مداها بين الناس تشكيلا جديداً للفكر والحياة والمعتقد الانساني .

وقد تنوعت الدراسات القرآنية ، وكثر فيها القول ، وتعددت وجهات النظر ، وتشعبت الآراء ، وكان من بينها ما تناول هذه المعجزة القرآنية بالبحث اللغوي ، والدراسة المتطلعة للوقوف على منابع التدفق الفكري في هياكلها التعبيرية ، وأبنيتها الأسلوبية المؤثرة ، وعلى الرغم من ان عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) قد اخرج الدراسات القرآنية من إطار التقليد إلى أفق فني أقام فهمه فيه على فكرة النظم ، و «تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض» (١) ، وربط ذلك كله بالنحو قائلاً : «واعلم أنّ ليس النظم إلا أنْ تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه واصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها» (٢) ، ثم حاول الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في تفسيره تطبيق ما ذهب اليه في هذا الاتجاه ، فإن الفكرة وتطبيقاتها بقيت في حدود المحاولة النظرية الضيقة ، لأنها لم تشمل النصوص القرآنية كلها ، وظلت غير قادرة على تأطير الفهم الأسلوبي الكامل للغة القرآن . والأسلوب غير اللغة ، واذا كانت اللغة هي ثوب الفكر ، فإن الأسلوب هو فصال ذلك الثوب وطرازه الخاص (٣) .

ولسنا هنا بسبيل المفاضلة بين لغة وأخرى ، غير ان اللغة العربية بإجماع العلماء والباحثين من اوسع اللغات الفاظاً ودلالات ، ومن احسنها دقة عبارة ، وقوة جملة ، ومن خصائصها امتلاكها القدرة على التعبير عن معان قد لايتأتى في غيرها

(١) دلائل الإعجاز ، تصحيح : محمد رشيد رضا ، القاهرة ، ١٣٧٢هـ ، ط٥ : الصفحة الأولى من المقدمة .
(٢) م.ن : ٦٤ .
(٣) كراهام هاف – الأسلوب والأسلوبية ، ترجمة : كاظم سعدالدين ، بغداد ، ١٩٨٥م : ٢٠ .

من اللغات التعبير عنها (١) ، فضلاً عما حازته من ثروة اشتقاقية دالة على حيويتها ونمائها وتطورها المستمر . وفهم اسلوب القرآن محتاج إلى التضلع في قواعد لغتها ، وفروعها ، وتطبيقاتها (٢) . ومن يرد استنباط الأحكام من النص القرآني من غير علم دقيق بالعربية قد يضل الطريق ، ولهذا قال ابن جني (ت ٣٩٢) : «ان اكثر من ضل من اهل الشريعة عن القصد فيها ، وحاد عن الطريقة المثلى اليها ، فإنما استهواه واستخف حلمه ضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة» (٣) ، ولهذا جعل علماء اصول الفقه اللغة العربية من الشروط التي ينبني عليها علمهم ، قال الغزالي (ت ٥٠٥هـ) : «واما الأصول فمادته الكلام والفقه واللغة (٤) ، لأن المجتهد لو لم يعلم توسع العرب في مخاطباتها لعَيَّ بكثير من حكم الكتاب والسنة» (٥) .

إن فهم القرآن الكريم لا يتأتى إلا من خلال فهم دقيق لنظمه واسلوبه ، وللمكونات الرئيسة لعبارته اللغوية المؤدية لدلالاته المطلوبة المفهومة . والمكونات اللغوية هي : الأصوات ، والأبنية الصرفية ، والتراكيب النحوية ، والأدوات النحوية الداخلة فيها ، وقد زخر اسلوب القرآن الكريم بثروة هائلة من هذه المكونات التي تكتسب شخصياتها من خلال شبكة العلاقات الشكلية والمعنوية داخل النظم . فالمعنى الخاص بالمكون اللغوي خارج النظم قد يتغير داخل النظم ، فتكون له دلالة جديدة ، وقد يجتمع اكثر من مكون واحد على دلالة واحدة «ثم إن تلك الدلالة قد تبقى ثابتة ، وقد تتسع او تضيق ، وقد تتحول

(١) انور الجندي – بحثه : خصائص اللغة العربية في الفكر الاسلامي ، مجلة الرسالة الاسلامية ببغداد ، ع ٢١ ، السنة الثانية : ٤٨ .

(٢) الزمخشري–المفصل في علم العربية ، القاهرة ، ١٣٢٣هـ ، ط ١ : الصفحة الثانية من المقدمة .

(٣) الخصائص – تحقيق : محمد علي النجار ، بيروت ، د.ت ، ط ٢ : ٢٤٥/٢ .

(٤) لمتخول من تعليقات الأصول ، تحقيق : محمد حسن هيتو ، بيروت ، د.ت ، ط١ : ٤. وينظر : ابن يعيش – شرح المفصل ، بيروت ، د.ت : ١١/١ .

(٥) السيوطي – المزهر في علوم اللغة وانواعها ، تحقيق : محمد احمد جاد المول وآخرين ، بيروت ، د.ت : ٥/١ .

عن المعنى الذي كانت تدل عليه لتدل على معنى آخر »(١) ، وهذه حقيقة تنبه القدماء اليها ، وفهموا اسلوب القرآن في ضوئها ، فلو تمثلنا جوهر فكرة النظم لرأينا بذورها فيما كتبه النحاة والبلاغيون ، ومؤلفو كتب الإعجاز بيد أن اليد الطولى كانت للنحاة في دراسة الكلام ، وتحليله والوقوف عند الجملة ، وما يحدث فيها من تقديم وتأخير ، او حذف وذكر ، او فصل ووصل . ولعل سيبويه (ت ١٨٠هـ) من اقدم السلف الذين وقفوا عند هذه الجوانب ، فقد درسها في كتابه ، وأخذها عنه الخلف ، وبنوا عليها نظراتهم ، ولكنهم مثله لم يسموا هذه البحوث نظماً ، وإنما سموها قواعد تسير عليها العرب في كلامها او إنشائها (٢) ، ولكن اقدم إشارة إلى فكرة النظم في الكتب العربية — فيما نقدر — عبارة ابن المقفع (ت ١٤٢هـ) التي اشار فيها إلى صياغة الكلام بقوله : «فاذا خرج الناس من أن يكون لهم عمل اصيل ، وأن يقولوا قولاً بديعاً ، فليعلم الواصفون المخبرون ان احدهم وان احسن وأبلغ ليس زائداً على ان يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتاً وزبرجداً ومرجاناً ، فنظمه قلائد وسموطاً واكاليل ، ووضع كل فص موضعه ، وجمع الى كل لون شبهه ، وما يزيده بذلك حسناً فسمي بذلك صائغاً رقيقاً . وكصاغة الذهب والفضة صنعوا منها ما يُعجب الناس من الحلي والآنية ... فمن جرى على لسانه كلام يستحسنه او يستحسن منه فلا يعجبن به اعجاب المخترع المبتدع ، فإنه إنما اجتباه كما وصفنا» (٣) .

وكان الجاحظ (١٥٠ — ٢٥٥هـ) الذي ساقه إحساسه العميق بروعة النظم إلى القول بإعجاز القرآن في نظمه قد الف في نظم القرآن كتاباً لم يصل الينا ، احتج فيه لهذا النظم وغريب تأليفه وبديع تركيبه (٤) الذي لا يقدر على مثله العباد (٥) ، وكان يفرق بين نظم القرآن وتأليفه ونظم سائر الكلام وتأليفه ،

(١) مازن المبارك — نحو وعي لغوي ، دمشق ، ١٩٧٠م : ١٠٨ .
(٢) احمد مطلوب — عبدالقاهر الجرجاني ، بلاغته ونقده ، الكويت ، ١٩٧٣م ، ط ١ : ٥٢
(٣) الأدب الصغير والأدب الكبير ، بيروت ، د.ت : ١٢ — ١٣ .
(٤) الحيوان ، مقدمة المحقق عبدالسلام محمد هارون ، بيروت ، ١٩٦٩م ، ط٣ : ١/ ٤ .
(٥) م.ن : ٤/ ٩٠ .

ويقول : «وفرق ما بين نظم القرآن وتأليفه ، ونظم سائر الكلام وتأليفه ، وليس يعرف فروق النظر واختلاف البحث والنشر إلا من عرف القصيد من الرجز ، والمخمس من الأسجاع ، والمزاوج من المنثور ، والخطب من الرسائل ، وحتى يعرف العجز العارض الذي يجوز ارتفاعه من العجز الذي هو صفة في الذات ، فاذا عرف صنوف التأليف عرف مباينة نظم القرآن لنظم سائر الكلام» (١) وذكر امثلة مختارة مناسبة للمواقف المختلفة ، وعدها من جزئيات النظم (٢). وكان ينكر التكلف في القول ، ويراه اغتصاباً للألفاظ وقهراً لها لما يبين فيها من استكراه وتعقيد ناشيء عن غرابتها (٣) . وفكرة النظم عنده لفظية تعتمد على حسن الصوغ ، وكمال الترتيب ، ودقة تأليف اللفظ ، وجمال نظمه ، وكان شغوفاً بجودة اللفظ ، وحسنه ، وبهائه ، حتى قدّمه على المعنى ، لأن المعاني — كما رآها — «مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي ، والبدوي والقروي ، وانما الشأن في اقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع ، وجودة السبك » (٤) ، بيد ان النصوص التي نقلت عنه لا تعطينا تصوراً واضحاً عن تصوره لحقيقة النظم ، ولو كان كتابه «نظم القرآن» قد وصل الينا لاستطعنا ان نتبين منه رأيه الواضح في هذه المسألة .

وأما نظرات ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) فقد اتسمت بالمهارة اللغوية والذوق الرفيع ابان نظره في القرآن الكريم ورده على الطاعنين والمعاندين ، فهو — كما قال — كتاب قد شرفه الله وكرمه (ورفعه وعظمه) ، وسماه روحاً ورحمة ، وشفاءاً وهدىً ونوراً ، وقطع منه بمعجز التأليف اطماع الكائدين ، وابانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين ، وجعله متلواً لا يمل على طول التلاوة ، ومسموعاً لا تمجه الآذان ، وغضاً لا يخلق على كثرة الترداد ، ومفيداً لا تنقطع فوائده ، ونسخ به سالف الكتب ، وجمع الكثير من معانيه في القليل من

(١) الشعر والشعراء ، تحقيق وشرح : عبدالسلام محمد هارون ، القاهرة ، ١٩٥٥م : ١٦ .
(٢) البيان والتبيين : تحقيق وشرح : عبدالسلام محمد هارون ، القاهرة ، ١٩٨٥م ، ط ٥ ، ٢٥٠/١ .
(٣) م.ن : ٢٠١/١ ، ٣٧٨ ، ٢٧٠/٢ .
(٤) الحيوان : ١٣١/٣ — ١٣٢ .

لفظه »(١) . وكان يستوحي اسلوبه بوعي وفهم لدى تأويله لمشكله (٢) ، ونظراته فيه بلاغية ، وكأن نظم القرآن هو البلاغة لديه . وقد اوضح ان سر القرآن وإعجازه يكمنان في نظمه وتركيبه ، وضرب امثلة كثيرة لتوضيح مداه ، ومما وصل اليه الإشارة إلى اختلال المعاني باختلال نظم التراكيب (٣). وقد وصل بذوقه إلى كثير من الأصول التي يبدأ منها البحث البلاغي ، فما من آية فيها شبهة ، او عبارة فيها خفاء إلا اورد لها نظائر وأمثالاً من مأثور القول عند البلغاء و الفصحاء المشهود لهم بالتمكن من صناعتهم ، وكان يقيم البرهان على أن هذا النظم ليس خارجاً عن مألوف الفن الأدبي ، وليس غريباً على المبرزين من فحول البيان (٤) .

ولقد كان لمسألة إعجاز القرآن اثر في تشكيل فكرة النظم ، فقد الف الرماني (٢٩٦ — ٣٨٦هـ) رسالة في الإعجاز ، بدأها ببيان وجوه الإعجاز ، وتحدث عن البلاغة ، وجعلها طبقات : اعلاها المعجزة ، وهي بلاغة القرآن ، والممكنة وهي ما دون ذلك ، كبلاغة البلغاء من الناس . وليس البلاغة عنده إفهاماً حسب ، لأنه قد يفهم المعنى متكلمان احدهما بليغ ، والآخر عيي ، وليست بتحقيق اللفظ على المعنى ، لأن المتكلم قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غث مستكره ونافر متكلف وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في احسن صورة من اللفظ (٥) ، وهو بهذا قد تناول إعجاز القرآن تناولاً فنياً ، عرض فيه الواناً متعددة من البلاغة ، مثل لها بكثير من الآيات مضيفاً بذلك إضافات جديدة في البلاغة والبيان إلى معطيات من سبقوه (٦) . وأعلى مراتب البيان لديه :

(١) تأويل مشكل القرآن ، شرحه ونشره : السيد احمد صقر ، القاهرة ، ١٩٧٣م، ط ٢ : ٣ .
(٢) م.ن : ١٠٥ ، ١١٥ ، ١٦٢ .
(٣) م.ن : ١٦٢ ، ١٨٢ ، ١٨٥ .
(٤) بدوي طبانة — البيان العربي ، دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى ، بيروت ، ١٩٧٢م ، ط٥ : ٢٥ — ٢٦ .
(٥) النكت في اعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ، تحقيق : محمد خلف الله احمد ومحمد زغلول سلام ، القاهرة ، ١٩٥٦م ، ط ٣ : ٧٥ — ٧٦ .
(٦) فتحي احمد عامر — فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ، القاهرة ، ١٩٧٥م: ٦٣ .

«ما جمع اسباب الحُسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسُن في السمع ، ويسهُل على اللسان ، وتتقبله النفس تقبل البرد ، وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة» (١) ، وبلاغة القرآن — فيما يفهم من كلامه — لاتقع بوجه من الوجوه التي ذكرها ، بل «تقع بها مقترنة في نسقه المحكم بحيث لا يقال : إن التشبيه معجز ، او التجنيس معجز ، وإنما يقال : إنهما معجزان بنظمهما وصوغهما الذي يسمو إلى الطبقة العالية من طبقات البلاغة الثلاث التي صورها الرماني في صدر رسالته» (٢) .

وقد ألف الخطابي (٣١٩ — ٣٨٨ هـ) رسالة في الاعجاز أيضاً ، حذا فيها حذو الرماني في إرجاعه الاعجاز إلى البلاغة ، وقال : « إن أجناس الكلام مختلفة ، ومراتبها في نسبة التبيان متفاوتة ، ودرجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية ، فمنها البليغ الرصين الجزل ، ومنها الفصيح القريب السهل ، ومنها الجائز الطلق الرسل ...

فالقسم الأول أعلى طبقات الكلام وأرفعه ، والقسم الثاني أوسطه وأقصده ، والقسم الثالث أدناه وأقربه ، فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة ، وأخذت من كل نوع من أنواعها شعبة ، فانتظم لها بانتظام هذه الأوصاف نمطٌ من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة ، وهما على الانفراد في نعوتهما كالمتضادين ، لأن العذوبة نتاج السهولة ، والجزالة والمتانة في الكلام تعالجان نوعاً من الوعورة ، فكان اجتماع الأمرين في نظمه مع نبو كل واحد منهما عن الآخر فضيلة خص بها القرآن يسرها الله بلطيف قدرته من أمره ، ليكون آية بينة لنبيه ، ودلالة على صحة ما دعا اليه من أمر دينه » (٣) . ورأى أن القرآن إنما صار معجزاً لمجيئه بأصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني» (٤) ، ويفهم من هذا أن بلاغة

(١) ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ، النكت منها : ١٠٧ .
(٢) شوقي ضيف — البلاغة تطور وتاريخ ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، ط٤ : ١١٤ .
(٣) بيان اعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن : ٢٦ .
(٤) م.ن : ٢٧ .

القرآن قد جمعت بين كل هذه الأساليب جمعاً لم يتح للبشر مثله، وعمودها — كما قال الخطابي — : « وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام ، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة » (١) .

أما أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) فقد تحدث عن وجوه الإعجاز القرآني بعامة ، ومن بينها الأعجاز البلاغي فقال : « إنه بديع النظم ، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه » (٢) ، ووصف نظم القرآن بأنه : « معجزة الرسول عليه السلام ، دال على نبوته من ثلاثة أوجه ، احدها ما فيه من عجيب النظم وبديع الرصف ، وأنه لا قدرة لأحد من الخلق على تأليف مثله ، ولا تأليف سورة منه ، أو آية بقدر سورة » (٣) ، ولكنه — فيما بدا لنا — لم يحدد مفهوم النظم تحديداً دقيقاً بحيث تندرج تحته كل آيات القرآن الكريم ، على الرغم من أنه قد أطنب في الكلام على كثير من وجوه الإعجاز .

وقد أطلعنا على فصلين عقدهما القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) عن فكرة النظم في كتابه ، عرض في أولهما رأي أستاذه أبي هاشم الجبائي (ت ٣٢١ هـ) في الفصاحة التي يفضل بها بعض الكلام على بعض ، وعرض في ثانيهما رأيه الخاص في الوجه الذي يقع منه التفاضل في فصاحة الكلام ، وقال : « اعلم : أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام ، وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة ، ولا بد مع الضم من ان يكون لكل كلمة صفة ، وقد يجوز في هذه الصفة ان تكون بالمواضعة التي تتناول الضم ، وقد تكون بالاعراب الذي له مدخل فيه ، وقد تكون بالموقع ، وليست لهذه الأقسام

(١) م.ن : ٢٩ .
(٢) اعجاز القرآن ، تحقيق : السيد احمد صقر ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ط ٣ : ٣٥ .
(٣) نكت الانتصار لنقل القرآن ، تحقيق : محمد زغلول سلام ، الإسكندرية ، ١٩٧١م . ٥٩ .

الثلاثة رابع ... على إنا نعلم ان المعاني لايقع فيها تزايد ، فإذن يجب ان يكون الذي يعتبر التزايد عنه الألفاظ التي يعبر بها عنها. فاذا صحت هذه الجملة فالذي به تظهر المزية ليس إلا الابدال الذي به تختص الكلمات ، أو التقدم والتأخر الذي يختص الموقع ، أو الحركات التي تختص الإعراب ، فبذلك تقع المباينة » (١) .

نقول بعد هذا : إن فيما تقدم ما يجعلنا نؤمن بأن فكرة النظم كانت ماثلة في أذهان العلماء والنقاد والمبدعين قبل الإمام عبد القاهر الجرجاني حين صاغ نظريته الواضحة في النظم بمفهومه الواسع ، وأثبت ان الإعجاز هو عجز العرب عن معارضة القرآن ، وان الناظر في كتاب الله وصولاً إلى فهم أسراره واعجازه ينبغي ان يكون ملماً بعلوم العربية وأساليب البلغاء ، ولا سيما البيان والشعر منها (٢) ، ولكي يتوصل الجرجاني إلى توضيح هدفه في مسألة الإعجاز رد كثيراً من الآراء والاتجاهات التي تنافي فكرته (٣) ، وربط الإعجاز بالنظم ، ورأى : ان القرآن معجز بنظمه الذي هو توخ لمعاني النحو وأحكامه (٤) .

وقد قامت فكرة النظم في مجملها أساساً على حقيقة ان مناسبات الكلام ، ومقتضيات الأحوال لا تجري على صورة واحدة ، بل هي متفاوتة مختلفة ، ومن دواعي هذا التفاوت والاختلاف ان تكون الصيغ والتراكيب المعبرة متفاوتة ، استجابة لتلك الدواعي والمقتضيات أيضاً ، وفي ضوء هذه الحقيقة وصفت أنماط الكلام في الدراسة البلاغية والأسلوبية ، وتوزعت على مباحث وفصول ، تدل عليها عنوانات ثابتة ، كالخبر والانشاء ، والتقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، والفصل والوصل ، والايجاز والإطناب ، والتعريف والتنكير ، إلى جانب ظواهر التشبيه ، والاستعارة ، والمجاز ، وفنون البديع ،

(١) المغني في ابواب التوحيد والعدل ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ط١ : ١٦/ ١٩٩ – ٢٠٠ .
(٢) دلائل الإعجاز : ٤ ، ٧ .
(٣) عبدالقاهر الجرجاني ، بلاغته ونقده : ٢٥٦ .
(٤) البلاغة – تطور وتأريخ : ١٦٠ .

وقد أدى كل مبحث أو ظاهرة في إطار مفهوم النظم وظيفة في تحديد المستوى الأدائي والمعنوي والجمالي للنص العربي ، بدءاً من تآلف الحروف في المفردة وانتهاءاً بالنص الكامل ، كما كشف عن معان إضافية ذوات دلالات خاصة تشكل الهدف الرئيس من إنشاء النص (١) . ولا يمكن ان تتحقق هذه الخصيصة إلا بمراعاة تلك الأساليب ، والإلمام الدقيق بضوابطها وأصولها التي تشكل بمجموعها نظرية النظم ، وقد وجدنا الجرجاني يصف النظم بأنه : « تعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعض»(٢) ويراه كذلك : « ان تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها » (٣) . وهو لا يعني به ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق ، بل هو نظير « للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير ، وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض ، حتى يكون لوضع كلٍّ حيث وضع علة تقتضي كونه هناك وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح » (٤) ، فقد جعل مناط الفضيلة الصورة التي يرسمها النظم بما يقوم عليه من معاني النحو المتخيرة ، وهي الصورة التي ترتسم في نفس المتكلم بأصباغ العلاقات بين معاني الكلم التي رتبت في النفس ترتيباً خاضعاً لتلك العلاقات (٥) ، لأن النظم ليس رصفاً للمفردات أو توليها في النطق ، بل هو تناسق الدلالات ، وتلاقي المعاني على الوجه الذي يقتضيه العقل ، ومن هنا كانت الألفاظ عنده أوعية للمعاني ، وتبعاً لها في مواقعها(٦) وقد رأى الفصاحة في ضوء نظريته في النظم متحققة في التلاؤم بين الكلمات في النطق (٧) . وحدد موقفه من قضية اللفظ والمعنى بعدم الاعتداد باللفظة

(١) جليل رشيد – أضواء على فكرة النظم ، أمالي مخطوطة : ٨ .
(٢) دلائل الإعجاز : الصفحة الأولى من المقدمة .
(٣) م.ن : ٦٤ .
(٤) م.ن : ٤٠ .
(٥) درويش الجندي – نظرية عبدالقاهر في النظم ، القاهرة ١٩٦٠م : ٧٢ – ٧٣ .
(٦) دلائل الإعجاز : ٢٠٠ .
(٧) م.ن : ٣٥ – ٣٦ .

المفردة ، لأن الألفاظ — كما قال — : « لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هي كلم مفردة ، وان الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها ، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ » (١) . ويفهم من هذا : ان الألفاظ لبنات التركيب ، وليس لكلمة فضل على أخرى بمفردها ، فاذا نظمت في تركيب ثبتت قيمتها .

ويمكن القول : إنه قد رسم ببحوثه في «دلائل الإعجاز» طريقاً جديداً في البحث النحوي ، تجاوز به أواخر الكلم ، وعلامات الإعراب ، وبيّن أن للكلمة نظماً ، وان رعاية هذا النظم ، واتباع قوانينه هي سبيل إلى الإبانة والإفهام ، ولهذا وجدنا من يقول في تقويم معطياته النحوية : لقد آن لمذهب عبد القاهر ان يحيا ، وأن يكون هو سبيل البحث النحوي ، فإن من العقول ما أفاق لحظّه من التفكير والتحرر ، وأن الحس اللغوي أخذ ينتعش ، ويتذوق الأساليب ، ويزنها بتقديرها على رسم المعاني والتأثير بها من بعد ما عاف الصناعات اللفظية ، وسئم زخارفها » (٢) ، فهو أول من أخرج النحو العربي من نطاق شكليته ، وسما به فوق الخلافات والتعللات حول الاعراب والبناء ، ولزم فكرة النظم التي استخدمها في تحليل النصوص ، وجعلها معياراً سليماً لإظهار وجوه المعاني في الكلام ، وطرائق البيان في التركيب . فأيما نظرة في أي فصل من فصول كتابه تعطينا صورة مشرقة لفكرة واتجاهه الفريد (٣) ، فليس مبالغة القول : إن قضيته الأساسية في كتابيه « أسرار البلاغة و دلائل الإعجاز » هي التفرقة بين مستويات الكلام التي تبدأ من الكلام العادي ، وتنتهي إلى الكلام المعجز الذي يفوق طاقة البشر . ولا يمكن أن تتم هذه التفرقة بين هذين الطرفين من مستويات الكلام في ذهنه دون الوقوف على مستوى الكلام الأدبي ، والتوقف الطويل أمام خصائصه(٤) .

---

(١) م.ن : ٣٨ .
(٢) إبراهيم مصطفى — إحياء النحو ، القاهرة ، ١٩٥٩م : ٢٠ .
(٣) عبدالفتاح لاشين — التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبدالقاهر ، الرياض ، ١٩٨٠م : ٧٥ .
(٤) نصر ابو زيد — بحثه : مفهوم النظم عند عبدالقاهر ، قراءة في ضوء الأسلوبية ، مجلة فصول ، مج ٥ ، ع ١ ، القاهرة ، ١٩٨٤م : ١٣ .

ومما تجدر الإشارة اليه هنا : ان بين «النظم» الذي تطرق اليه علماء البلاغة و«الأسلوب» الذي اصبح علماً قائماً برأسه لدى الدارسين المعاصرين اكثر من وشيجة ، فقد تناول العلماء المهتمون بدراسة الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم كلمة «الأسلوب» في سبيل المقارنة بين اسلوب القرآن وغيره من اساليب العرب ، فاقترنت كلمة الأسلوب عندهم بالفن ، على نحو ما جاء في قول ابن قتيبة : «إنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره ، واتسع علمه ، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب» (١) .

وهي كذلك عند الخطابي الذي يقول في نوع من انواع المعارضات بين الشعراء : «هو ان يجري احد الشاعرين في اسلوب من اساليب الكلام وواد من اوديته ، فيكون احدهما ابلغ ما كان في وصف ما كان في باله من الآخر في نعت ماهو بازائه ... ذلك بان تتأمل نمط كلامه ...وتنظر فيما يقع تحته من النعوت والأوصاف ، فاذا وجدت احدهما اشد تقصياً لها واحسن تخلصاً إلى دقائق معانيها ، واكثر إصابة لها ، حكمت لقوله بالسبق ، وقضيت له بالتبريز على صاحبه ،ولم تبال باختلاف متاصدهم وتباين الطرق بهم فيها»(٢)

وقد ذهب الباقلاني إلى «أن نظم القرآن على تصرف وجوهه ،وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم ، ومباين للمألوف من ترتيب خطبائهم ، وله اسلوب يختص به ، ويتميز في تصرفه عن اساليب الكلام المعتاد» (٣) ، ووجدناه يجعل لوجه الإعجاز البلاغي عشرة معان ، منها : «خروج أسلوبه عن الأساليب المعتادة»(٤) ، ثم امتزج الأسلوب عند عبدالقاهر بالفن ، فقد ذكر الأسلوب وفسره بالضرب من النظم والطريقة فيه (٥) .

وقال في ضرب من الإستعارة سماه : الصميم الخالص ، وهو اخذ الشبه من

(١) تأويل مشكل القرآن : ١٢ .
(٢) بيان اعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن : ٦٥ – ٦٦ .
(٣) اعجاز القرآن : ٣٥ .
(٤) م.ن : ٣٥ .
(٥) دلائل الإعجاز : ٤ – ٤٩ .

الصور العقلية ، كاستعارة النور للبيان في قوله — تعالى — (١) :
(فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النور الذي أُنزل معه اولئك هم المفلحون) : «واعلم ان هذا الضرب هو المنزلة التي تبلغ عندها الاستعارة غاية شرفها ، ويتسع لها كيف شاء المجال في تفننها وتصرفها ، وههنا تخلص لطيفة روحانية ، فلا يبصرها إلا ذوو الأذهان الصافية ... ولها ههنا اساليب كثيرة ومسالك دقيقة مختلفة» (٢) . فالأسلوب هنا — كما لا يخفى — مرتبط بخاصية الاستعارة ، وكيفية الإتيان بها على شكل متفرد يميز الأسلوب ويزيده جمالاً (٣) ؛ ويفهم من كلامه ايضاً ان الإعجاز ليس في التلاؤم والسجع والتجنيس والترصيع ، وغير ذلك مما يعود إلى اللفظ ، لأن صعوبة السجع مثلا تعرض في المعاني من اجل الفاظها ، حين يصعب على المتكلم التفريق بين معاني تلك الألفاظ المسجعة وبين معاني الفصول التي جعلت اردافاً لها ، فلا يستطيع ذلك إلا بعد ان يعدل عن اسلوب إلى اسلوب (٤) . لأن الأسلوب هو تلك الطريقة الخاصة في ترتيب المعاني ، بما تحويه من إمكانات نحوية ، تميّز ضرباً من ضرب (٥) وعبدالقاهر بالتصور الذي ذكره يكاد يقترب من الفكر الأسلوبي المعاصر ، فقد سبق إلى ان الشعر ، وكذلك القرآن الكريم ، كلام ينتمي إلى اللغة ، ولكنه كلام يتميز بخصائص ومعان تُدخله في حدود الفن. ويمكن القول من خلال التماثل لديه بين علم النحو والنظم : إن مفهوم النظم عنده يترتب إلى حد كبير من مفهوم الأسلوب عند المعاصرين ، بحيث يصبح النظم الذي يصنع علم النحو قواعده علماً لدراسة الأسلوب (٦) .

(١) الأعراف — آ : ١٥٧ .
(٢) اسرار البلاغة ، تصحيح : محمد رشيد رضا ، بيروت ، د.ت : ٥٠ .
(٣) محمد عبد طلب — البلاغة والأسلوبية ، القاهرة ، ١٩٨٤م : ٢٤ .
(٤) دلائل الإعجاز : ٤٩ .
(٥) محمد كريم الكواز — الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم ، رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٠م : ٢٧ .
(٦) مجلة فصول : مفهوم النظم عند عبدالقاهر ، قراءة في ضوء الأسلوبية ، بحث : نصر ابو زيد ، مج ٥ ، ع ١ ، القاهرة ، ١٩٨٤م : ١٤ — ١٥ .

اما طبيعة الاسلوب فقد جاءت عند ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) موصوفة بالفصاحة، لتكون تحدياً لفصحاء العرب ، فقد قال : «ونعلم ان مسيلمة وغيره لم يأت بمعارضة على الحقيقة ، لأن الكلام الذي اورده خال من الفصاحة التي وقع التحدي بها في الأسلوب المخصوص (١) .

كما وردت كلمة «اسلوب» نفسها فيما عرض فيه بعض العلماء لمن قال بأن الإعجاز البلاغي في القرآن آت من جهة اسلوبه المخالف لأساليب العرب في اشعارها ورسائلها وخطبها ، ومنهم : الفخر الرازي (٢) (ت ٦٠٦هـ) ، والعلوي (٣) (ت ٧٤٩هـ) ، وعد حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) الأسلوب طريقة الضم والتأليف الأفكار الصغيرة داخل الغرض الشعري ، وفسر ذلك بقوله : «فكان الأسلوب بمنزلة النظم في الألفاظ الذي هو صورة كيفية الاستمرار في الألفاظ والعبارات ، والهيئة الحاصلة عن كيفية النقلة من بعضها إلى بعض ، وما يعتمد فيها من ضروب الوضع وانحاء التكليف»(٤) ، وانتهى ابن خلدون (ت ٨٢١هـ) إلى ان لكل فن من الكلام اساليب تختص به ، وتوجد فيه على انحاء مختلفة ، فسؤال الطلول في الشعر يكون بخطاب الطلول ويكون باستدعاء الصحب للوقوف والسؤال ... او باستبكاء الصحب على الطلل ... او بالاستفهام عن الجواب لمخاطب غير معين»(٥) ، وغير ذلك .

وخلص من هذا إلى ان الأسلوب : «صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص ، وتلك الصورة ينتزعها الذهن من اعيان التراكيب وأشخاصها ، ويصيرها في الخيال كالقالب او المنوال ، ثم ينتقي

(١) سر الفصاحة ، تصحيح وتعليق : عبد المتعال الصعيدي ، القاهرة ، ١٩٥٣ م : ٤ .
(٢) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، تحقيق : أبراهيم السامرائي ومحمد بركات حمدي أبو علي ، عمان ، ١٩٨٥ م : ٣٣ — ٣٤ .
(٣) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، بيروت ، ١٩٨٢ م : ٢/٤٠٥ — ٤٠٦ .
(٤) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجة ، تونس ، ١٩٦٦ م : ٣٦٤ .
(٥) المقدمة ، بيروت ، ١٩٧٨ م ، ط١ : ٥٧١ .

التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان ، فيرصّها فيه رصّاً كما يفعله البنّاء في القالب ، أو النسّاج في المنوال ، حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ، ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي »(١) وهو بهذا قد شكّل مفهوماً اصطلاحياً تطبيقياً للأسلوب أفاد فيه من سابقيه ، ولا سيما القرطاجني (٢) ، ومن الفلسفة اللغوية التي وجدها في التراث العربي ذات تأثير في النقد الأدبي (٣) ، ليسبق بمستخلصه عن الأسلوب دخول مصطلحه في النقد الأوربي في أوائل القرن التاسع عشر (٤) ، ويرجع مفهومه عندهم إلى عهد أرسطو الذي ربطه بالبلاغة ، ولم يربطه بفن الشعر ، لأن الأسلوب عنده جزء من صنعة الإقناع التي كان يدرسها في موضوع الخطابة (٥) . وقد تناول علماء اللغة الأوربيون في العصور الوسطى دراسة الأسلوب ، فأكسبوه شهرة تقسيم ثلاثي إلى أسلوب بسيط ومتوسط وسام ، وهي ألوان تمثلها عندهم ثلاثة نماذج كبرى في انتاج الشاعر الروماني «فرجيل» الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد ، فديوانه : «قصائد ريفية» الذي كتبه عن الفلاحين مثال للأسلوب البسيط ، وديوانه الإخلاقي : «قصائد زراعية» الذي حث فيه الرومان على التمسك بأرضهم الزراعية مثال للاسلوب المتوسط ، وملحمته الشهيرة : «الإنياذة» مثال للاسلوب السامي . وعلى أساس هذا التقسيم شاع عند البلاغيين الغربيين ماعرف بدائرة فرجيل في الأسلوب (٦).

واذا كانت البلاغة القديمة قد حاولت اكتشاف الأنواع المختلفة للتعبير ، وتسميتها ، وتصنيفها ، فان هذه هي الخطوة الأولى المعتد بها في إقامة جميع العلوم ، ولكن الملاحظ أنها وقفت بعد هذه الخطوة ، ولم تبحث عن الهيكل

---

(١) م . ن : ٥٧١ .
(٢) البلاغة والأسلوبية : ٣٤ .
(٣) شكري محمد عياد – مدخل الى علم الأسلوب ، الرياض ، ١٩٨٢ م ، ط ١ : ٢٣ .
(٤) صلاح فضل – علم الأسلوب مبادؤه واجراءاته ، القاهرة ، ١٩٨٥ م ، ط ٢ : ٧٣ .
(٥) كراهام هاف – الأسلوب والأسلوبية : ١٩ .
(٦) بيير جيرو – الأسلوب والأسلوبية ، ترجمة : منذر عياشي ، بيروت ، د . ت : ١٣ – ١٤

أو البنية العامة لتلك الأنواع المختلفة، وذا مما انتهى بها الى عقم وجمود في القرون الأخيرة ، ولكنها مالبثت أن بعثت من جديد باسم «علم الأسلوب» الذي يجهد الباحثون الآن لإقامته على أسس بنائية سليمة تهدف إلى تجاوز طابع التجزئة في عرض المقولات البلاغية (١) ، ومع هذا فقد ولدت حركات تجديدية التزمت بقواعد معيارية أدت بها إلى نوع جديد من الجمود في الأداء الأدبي ، وقد بادر جورج بوفون (١٧٠٧ — ١٧٨٨م) في عمله المشهور : «مقال في الأسلوب Discous le style » برفض قوي لمبدأ طبقية الأسلوب ، ولبعض قواعده المعيارية ، وانتقد الفكرة التي ترى أن الأسلوب هو الطبقة ، ليقرر أن «الأسلوب هو الرجل» ، محاولاً ربط قيم الأسلوب الجمالية بخلايا التفكير الحية المتغيرة في شخص إلى شخص ، لا بالقوالب الجامدة للتزيين التي يستعيرها المقلدون عادةً من المبدعين دون إدراك حقيقي لقيمها ، أو استغلال جيد لها (٢) .

ثم جاء علم النحو التوليدي ليضع ثنائية الكفاية والأداء ، ويؤثر معظم الدارسين إرجاع متولة الأسلوب إلى الاستعمال الفردي للغة (٣) . وكان «شارلس بالي» (١٨٦٥ — ١٩٤٧م) قد انفاد من منهج أستاذه «دي سوسير » (١٨٥٧ — ١٩١٣م) فذهب الى أن اللغة مجموعة من وسائل التعبير التي تتناوب مع الفكرة ، وأن علم الأسلوب يعنى بدراسة الوسائل التي تستخدمها اللغة للتعبير عن أفكار معينة (٤) ، ولكون استاذه سوسير لم يهتم كثيراً بعلم لغة الكلام قدر اهتمامه بالنظام الاجتماعي في علم اللغة ، فقد شق بالي مصطلح « الأسلوب» ، ودرس الطرق التي يتحول فيها النظام الاجتماعي في اللغة إلي

(١) صلاح فضل — نظرية البنائية في النقد الأدبي ، بغداد ، ١٩٨٧ م ، ط ٣ : ٣٦٤—٣٦٥.

(٢) أحمد درويش — بحثه : الأسلوب والأسلوبية ، مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه ، مجلة فصول ، مج ٥ ، ع ١ ، ١٩٨٤ م : ٦١ .

(٣) هاف — الأسلوب والأسلوبية : ٥٣ — ٥٤ ، وصلاح فضل ، بحثه — علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة ، مجلة فصول ، مج ٥ ، ع ١ ، ١٩٨٤ م : ٤٩ .

(٤) دي سوسير — علم اللغة العام ، ترجمة : يوئيل يوسف عزيز ، الموصل ، ١٩٨٨ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٣ .

مادة من النطق البشري الحي (١) ، ويتمثل الأسلوب عنده في مجموعة من عناصر لغوية مؤثرة عاطفياً في المستمع أو القارىء ، بحيث تبدو مهمة علم الأسلوب بحثاً عن القيمة التأثيرية لتلك العناصر المنظمة (٢) . ولكن بالي قد رفض إدخال الأدب في دراسته بحجة وجود فرق كبير بين استعمال الفرد للغة في ظروف عامة مشتركة مفروضة على جماعة لغوية كاملة ، واستعمالها عند شاعر أو روائي أو خطيب (٣) . فخالفه تلميذه «مارسيل كريسو» الذي رأى اللغة نشاطاً خلاقاً يمارسه الشخص أكثر مما هي نظام إشارات أو رموز مشتركة في مجتمع معين (٤) ، وعدّ العمل الأدبي ميداناً لعلم الأسلوب بلا منازع ، لأن الاختيار فيه أكثر طواعية ، واكثر وعياً (٥) .

وقد ظهر بعد مذهب بالي ماسمي بـ«الأسلوبية الجديدة» ، منسوباً الى «ليوسبتزر» ، وتركز على نحو خاص في الولايات المتحدة الأمريكية ، وامتدت آثاره لتؤثر في أصحاب «الأسلوبية البنائية» ، ولتتضافر آثارها مع آثار مدرسة بالي «الأسلوبية التعبيرية» في خلق اتجاه لغوي نقدي ، يحظى اليوم باحترام اللغويين والنقاد والمبدعين» (٦) .

أما مفهوم الأسلوب عند الباحثين العرب في العصر الحديث فمتأثر بطبيعة الثقافة التي تلقوها ، فمن الذين تأثروا بالتراث العربي في تصور مفهوم الأسلوب الشيخ محمد عبده ، الذي ردد ما ذكره العلماء القدماء من ان إعجاز القرآن يكمن في أسلوبه ونظمه ، ولحظ معهم ان اسلوب القرآن مخالف لما استنبطه البلغاء من كلام العرب في مطالعه وفواصله ومقاطعه (٧) .

(١) الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن : ٣٨ .
(٢) علم الأسلوب ، مبادؤه واجراءاته : ٧٥ .
(٣) هاف – الأسلوب والأسلوبية : ٣٩ .
(4)Ullmann : Language and Style,Madrid, 1968 : P. 7.
(٥) هاف – الأسلوب والأسلوبية : ٣٩ – ٤٠ .
(٦) مجلة فصول : الأسلوب والأسلوبية ، مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه ، بحث : أحمد درويش ، مج ٥ ، ع ١ ، ١٩٨٤ م : ٦٨ .
(٧) ينظر : محمد رشيد رضا – تفسير المنار ، بيروت ، د.ت ، ط٢ : ١٩٨/١ .

يهمل ما تشرّبه من التراث البلاغي القديم (١) .

ويسلمنا ما تقدم إلى ان اللغة قوالب لفظية تصب فيها المعاني الذهنية التي يجترحها موهوبو العقل والكلام للتعبير بها للناس عن دواخلهم ، غير ان الأسلوب شيء مغاير لها ، يسمو عليها بالفن القادر على التأثير الذي يستمد مقوماته منها بسبك جديد وأداء متميز . وتتباين الأساليب وتتفاضل اعتماداً على الذخيرة اللغوية التي يمتلكها منتج اللغة ، وعلى معرفته بأسرار اللغة ، وقدرته على سبكها وافراغها في قوالب وأطر ابداعية معجبة ومثيرة . ومما لا شك فيه ان اللغة في حالتها الطبيعية لاتستطيع استيعاب الخزين الدلالي الهائل المعبر عن إبداعية المنتج ، فعليها — إذن — ان تكون طيعة سلسلة ذات مرونة تتأتى من خلال تغيير في البنى السطحية عن طريق استبدال أو تحويل ، هما قاعدتان أساسيتان لتوليد «Generate» جمل جديدة ، تثري اللغة وتمدها بالجديد الجديد من وجوه التعبير ، وهنا يحصل التمايز بين أسلوب وآخر في القدرة على إجراء التحويلات المؤسسة على ثقافة لغوية واسعة ، وعلى معرفة بالأسرار الدلالية ، واكتناه لها ، مما يحاوله المبدعون من أرباب اللغة فوق طاقة الأوساط والضعفاء من ذويها ، فكيف بأسلوب القرآن المعجز المفحم الذي يمثل القمة العليا للعبقرية اللغوية العربية — كما أسلفنا — (٢) بسماته وخصائصه الرفيعة التي عبر عنها قوله — تعالى — (قُلْ لَئِن اجْتَمَعَتِ الإنسُ والجِنُّ على أنْ يَأتوا بمثل هذا القرآن لا يَأتون بمثله ولو كانَ بعضهم لبعض ظَهيرا) (٣) ، فحصرها ، وتحداها ، فغلبها على أمرها بلا مراء .

والذي يهمنا هنا تمثّل وصفي جديد لقاعدة الاستبدال ، بوصفه ظاهرة أساسية لتوليد الجمل في الاطار القرآني عن طريق إحلال مكوّن لغوي مكان آخر . والاستبدال لغةً استفعال : من : «أبدلت الخاتم بالحلقة : اذا نحيت

(١) البلاغة والأسلوبية : ٨٥ .
(٢) ينظر : الصفحة التاسعة من هذا التمهيد .
(٣) الإسراء — آ : ٨٨ .

مادة من النطق البشري الحي (١) ، ويتمثل الأسلوب عنده في مجموعة من عناصر لغوية مؤثرة عاطفياً في المستمع أو القارىء ، بحيث تبدو مهمة علم الأسلوب بحثاً عن القيمة التأثيرية لتلك العناصر المنظمة (٢) . ولكن بالي قد رفض إدخال الأدب في دراسته بحجة وجود فرق كبير بين استعمال الفرد للغة في ظروف عامة مشتركة مفروضة على جماعة لغوية كاملة ، واستعمالها عند شاعر أو روائي أو خطيب (٣) . فخالفه تلميذه «مارسيل كريسو» الذي رأى اللغة نشاطاً خلاقاً يمارسه الشخص أكثر مما هي نظام إشارات أو رموز مشتركة في مجتمع معين (٤) ، وعدّ العمل الأدبي ميداناً لعلم الأسلوب بلا منازع ، لأن الاختيار فيه أكثر طواعية ، واكثر وعياً (٥) .

وقد ظهر بعد مذهب بالي ماسمي بـ«الأسلوبية الجديدة» ، منسوباً الى «ليوسبتزر» ، وتركز على نحو خاص في الولايات المتحدة الأمريكية ، وامتدت آثاره لتؤثر في أصحاب «الأسلوبية البنائية» ، ولتتضافر آثارها مع آثار مدرسة بالي «الأسلوبية التعبيرية» في خلق اتجاه لغوي نقدي ، يحظى اليوم باحترام اللغويين والنقاد والمبدعين» (٦) .

أما مفهوم الأسلوب عند الباحثين العرب في العصر الحديث فمتأثر بطبيعة الثقافة التي تلقوها ، فمن الذين تأثروا بالتراث العربي في تصور مفهوم الأسلوب الشيخ محمد عبده ، الذي ردد ما ذكره العلماء القدماء من ان إعجاز القرآن يكمن في أسلوبه ونظمه ، ولحظ معهم ان اسلوب القرآن مخالف لما استنبطه البلغاء من كلام العرب في مطالعه وفواصله ومقاطعه (٧) .

(١) الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن : ٣٨ .
(٢) علم الأسلوب ، مبادؤه واجراءاته : ٧٥ .
(٣) هاف — الأسلوب والأسلوبية : ٣٩ .
(4)Ullmann : Language and Style,Madrid, 1968 : P. 7.
(٥) هاف — الأسلوب والأسلوبية : ٣٩ — ٤٠ .
(٦) مجلة فصول : الأسلوب والأسلوبية ، مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه ، بحث : أحمد درويش ، مج ٥ ، ع ١ ، ١٩٨٤ م : ٦٨ .
(٧) ينظر : محمد رشيد رضا — تفسير المنار ، بيروت ، د.ت ، ط٢ : ١٩٨/١ .

يهمل ما تشرّبه من التراث البلاغي القديم (١) .

ويسلمنا ما تقدم إلى ان اللغة قوالب لفظية تصب فيها المعاني الذهنية التي يجترحها موهوبو العقل والكلام للتعبير بها للناس عن دواخلهم ، غير ان الأسلوب شيء مغاير لها ، يسمو عليها بالفن القادر على التأثير الذي يستمد مقوماته منها بسبك جديد وأداء متميز . وتتباين الأساليب وتتفاضل اعتماداً على الذخيرة اللغوية التي يمتلكها منتج اللغة ، وعلى معرفته بأسرار اللغة ، وقدرته على سبكها وافراغها في قوالب وأطر ابداعية معجبة ومثيرة . ومما لا شك فيه ان اللغة في حالتها الطبيعية لاتستطيع استيعاب الخزين الدلالي الهائل المعبر عن إبداعية المنتج ، فعليها — إذن — ان تكون طيعة سلسلة ذات مرونة تتأتى من خلال تغيير في البنى السطحية عن طريق استبدال أو تحويل ، هما قاعدتان أساسيتان لتوليد «Generate» جمل جديدة ، تثري اللغة وتمدها بالجديد الجديد من وجوه التعبير ، وهنا يحصل التمايز بين أسلوب وآخر في القدرة على إجراء التحويلات المؤسسة على ثقافة لغوية واسعة ، وعلى معرفة بالأسرار الدلالية ، واكتناه لها ، مما يحاوله المبدعون من أرباب اللغة فوق طاقة الأوساط والضعفاء من ذويها ، فكيف بأسلوب القرآن المعجز المفحم الذي حطم المقولة اللغوية العربية — كما أسلفنا — (٢) بسماته وخصائصه الرفيعة التي عبر عنها قوله — تعالى — (قُلْ لَئِن اجتَمَعَتِ الإنسُ والجنُ على أنْ يَأتوا بمثل هذا القرآن لا يَأتون بمثله ولو كانَ بعضهم لبعض ظَهيرا) (٣) ، فحصرها ، وتحداها ، فغلبها على أمرها بلا مراء .

والذي يهمنا هنا تمثّل وصفي جديد لقاعدة الاستبدال ، بوصفه ظاهرة أساسية لتوليد الجمل في الاطار القرآني عن طريق إحلال مكوّن لغوي مكان آخر . والاستبدال لغةً استفعال : من : «أبدلت الخاتم بالحلقة : اذا نحيت

(١) البلاغة والأسلوبية : ٨٥ .
(٢) ينظر : الصفحة التاسعة من هذا التمهيد .
(٣) الإسراء — ٦ : ٨٨ .

هذا ،وجعلتَ هذا مكانه ، وبدلتُ الخاتم بالحلقة : اذا أذبته وسويته حلقة ، وبدلت الحلقة بالخاتم : إذا أذبتها وجعلتها خاتماً .. والتبديل : تغيير الصورة إلى صورة أخرى والجوهرة بعينها . والإبدال : تنحية الجوهرة ، واستئناف جوهرة أخرى ... ويقال : استبدلت ثوباً مكان ثوب ، أو أخاً مكان أخ ونحو ذلك : المبادلة»(١)، ويقال : «تبدل الشيء وتبدل به واستبدله واستبدل به ، كله : اتخذ منه بدلاً . وأبدل الشيء من الشيء وبدله : تخذه منه بدلاً . وأبدلت الشيء بغيره، وبدله الله من الخوف أمناً . وتبديل الشيء: تغييره ، وإن لم يأت ببدل ، واستبدل الشيء بغيره وتبدّله ، اذا أخذ مكانه ،والمبادلة : التبادل والأصل في التبديل تغيير الشيء عن حاله»(٢) .

وهو اصطلاحاً : لفظ يستعمله علماء الصوتيات المحدثون للإشارة إلى نظام التغيير الصوتي الذي يحصل داخل بنية التركيب النحوي . وتستعمل هذه الطريقة لاختبار الجمل التي تكون استعمالاتها نظامية في المعيار الاستبدالي ، لتثبيت عدد الأصوات . ويشير مصطلح الاستبدال في بعض الأحيان إلى نوع من الربط بين العناصر والمكونات اللغوية (٣) .

وتهتم القواعد الشكلية في دراسة اللغات بالتغييرات التي تجرى على بناها السطحية ، فيكون لها تأثير في بنيتها التحتية ولا شك في أن المكونات التي تؤلف بمجموعها بنية التركيب النحوي السطحي قد تتآلف فيما بينها بروابط تنتمي في معظمها إلى سلوك القواعد اللغوية التي تمتاز بها اللغة . وتعتمد هذه القواعد على عناصر لغوية محدودة تؤلف بمجموعها أعداداً غير متناهية من الجمل (٤) ، ويمتاز «المنهج الوصفي الشكلي» بوصف التركيب النحوي من

(١) الأزهري – تهذيب اللغة ، القاهرة ، ١٩٦٦ م ، ج ١٤ ، تحقيق : يعقوب عبد النبي ، مراجعة : محمد علي النجار / ١٣٢, مادة : بدل ، والمادة نفسها في : الزبيدي – تاج العروس من جواهر القاموس ، بيروت ، ١٣٠٦ هـ : ٧ / ١٣٣ .

(٢) ابن منظور – لسان العرب ، بيروت ، د . ت : ٤٨/١١ ، المادة نفسها أيضاً .

(3) David Grystal–A Dictionary of Linguistics and fonetics, Oxford, 1958, first published: P. 58.

(4) Owon Thomas– Transformational Grammar and the Teacher of English / Theory and Practice / second Edition / united states of America / 1973 : P. 24.

خلال تحليله إلى مكوناته المباشرة (١) . وكان لكتاب «اللغة» لبلو مفيلد الأثر الكبير في إشاعة هذا الاتجاه من الدرس في أمريكا (٢) .وقد ركز هذا المنهج اهتمامه في التركيب الشكلي أو البنية الظاهرة للغة ، واستبعد في مجال دراسته المعاني استبعاداً كلياً ، وكان ذلك بتأثير «المدرسة السلوكية في علم النفس» (٣) ، تلك التي كانت سائدة في أوربا وأمريكا . وقد ظهر تأثر علماء اللغة بهذا المذهب حين أخذوا ينظرون إلى اللغة بوصفها مجموعة من العادات السلوكية كغيرها من العادات (٤) ، وقد اعتمد بلومفيلد طريقة تحليل أجزاء الجملة إلى مكوناتها المباشرة ، بدءاً بالجملة ، وهي الوحدة الكبرى ، وانتهاءاً باصغر وحدة لغوية (٥) . ويمكن توضيح ذلك بتحليل قولنا: «ذهب الطالب إلى الكلية إلى الوحدات النحوية التي تتألف منها على الحذو الآتي :

الرموز	ج	ف + شج	
الوحدات	ذهب الطالب الى الكلية	ذهب الطالب	الى الكلية
رف		ف + رأ	
ذهب الطالب		ذهب	الطالب
رأ		تع + أ	
الطالب		أل	طالب
شج		ح + ر أ	
الى الكلية		الى	الكلية
رأ		تع + ا	
الكلية		أل	كلية

(١) ميشال زكريا – الألسنية ، علم اللغة الحديث ، المبادىء والأعلام ، بيروت ، ١٩٨٣ م، ط ٢ : ١٩٨ – ٢٠٣ .

(٢) نايف خرما – أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، الكويت ، ١٩٧٨ م : ١٠٩ .

(٣) جون لاينز–علم الدلالة السلوكي، ترجمة : مجيد الماشطة، بغداد، ١٩٨٦ م : ٤١ ، ٦٠، ٦٥.

(٤) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : ١١٠ .

(5) L yons-Introduction To Theoritical Linguistics, United Kingdom/ 1968: P. 210.

ويشير الرمز «ج» ←— إلى الجملة ، و «شج ←— إلى شبه الجملة ، و«رف←— إلى الركن الفعلي، و«ف» ←— إلى الفعل، و«أ»←— إلى الإسم ، و«رأ»←— إلى الركن الإسمي، و«تع»←— إلى أداة التعريف ، و«ح»←— إلى الحرف.

وتتخذ القاعدة التوليدية هذه الطريقة في وصف بنية التراكيب النحوية وتحليلها ، إذ تعاد كتابة التركيب النحوي بوضع رمز يشير إلى عنصر معيّن من عناصر الكلام (١) ويتم استبدال كل رمز بالوحدات النحوية التي تتضمنها الجملة . وتعرف هذه الطريقة في الوصف والتحليل بـ «قوانين الوصف البنيوي » أو «قوانين بنية العبارة» ، وهي معتمدة أساساً «على قوانين إعادة الكتابة» في المنهج الشكلي ومن فوائدها : أنها تحلل العلاقات النحوية القائمة بين أجزاء التركيب ، ومنها : بيان الموقع الوظيفي لكل وحدة نحوية ضمن سياق التركيب ، فـ «الطالب» في الجملة التي سبقت الإشارة اليها مادة معجمية تنتمي خارج السياق إلى صنف «الإسم» ، وتخضع في داخله لعلاقة نحوية هي «الإسناد» تضفي عليها مفهوماً وظيفياً ، وسمة نحوية محددة عندما يقوم الموصوف بالمادة المذكورة بالفاعلية . وفي ظل هذا المفهوم يتم استبدال عنصرين لغويين ببعضهما للحصول على جملتين مختلفتين في المعنى .

ويبحث المنهج الوصفي الشكلي عن علاقة أخرى تربط بين أجزاء وحدات التركيب ، تلك هي «العلاقات الاعتمادية» ، وتعني أن ظهور بعض أجزاء الكلم يعتمد على ظهور أجزاء أخرى ، أو يكون سبباً في ظهور أجزاء أخرى (٢) وتعرف هذه العلاقة في المنهج الوصفي الحديث بـ «علاقة «الإنتقاء» ، فظهور الفعل يقتضي ظهور الفاعل ، ويقتضي المبتدأ خبره ، وحرف الجر الإسم المجرور به ، على وفق ماجرى العرف به في التحليل التقليدي للجملة العربية

(١) الألسنية ، علم اللغة الحديث ، المبادىء والأعلام : ٢٠٣ .
(٢) جومسكي – جوانب من نظرية النحو ، ترجمة : مجيد الماشطة ، بغداد ، ١٩٨٦ م : ٨ ١٣ .

في ضوء نظرية العامل ، بيد أن المنهج الوصفي الشكلي يستند إلى مبدأ آخر هو «قاعدة الاستبدال» ، التي يتم فيها إدراج المفردات المعجمية المناسبة مكان الأصناف النحوية التي تنتمي اليها(١) ، بعد تحليل الجملة إلى مكوناتها المباشرة ، وفي إطار هذه القاعدة يمكن استبدال «الرجل» بـ «الطالب» في الجملة التي سبق ذكرها ، لأنهما ينتميان إلى صنف واحد ، هو الاسمية ، ويقعان موقعاً واحداً ، هو الفاعلية :

ذهب	الطالب ↓ الرجل	الى الكلية

أو استبدال المحاضرة بـ « الكلية » لسبب المجرورية :

ذهب الطالب إلى	الكلية ↓ المحاضرة

ويعد المعجم المصدر الرئيس لتزويد بنية الجملة بالمفردات اللغوية ، وهذه القاعدة التي اتخذها المنهج الوصفي الشكلي سبيلاً لوصف التراكيب النحوية ، وتحليلها ، تحقق هدفين رئيسين :

الأول : توليد جمل جديدة تعبر عن القدرة اللغوية للمتكلم .

الثاني : تصنيف أجزاء الجملة اعتماداً على مواقعها في سياق الكلام ، وامكان استبدال وحدة نحوية بأخرى ، وقد أفاد « جومسكي » من هذه القاعدة بعد ان تمثلها وأفرغها في نظريته المعروفة بـ «القواعد التوليدية التحويلية » (٢) ، ويؤكد المنهج الوصفي : ان جمل اللغة ليست محدودة ، لأن اللغة لا يمكن ان تعد لغة إذا

(١) م . ن : ٩ .

(٢) الألسنية ، علم اللغة الحديث ، المبادىء والأعلام : ٢٠٢ — ٢٠٣ . وينظر : جومسكي — البنى النحوية ، ترجمة : يوئيل يوسف عزيز ، مراجعة : مجيد الماشطة ، بغداد ١٩٨٧ م : ١٤٧ .

استطعنا إحصاء جملها (١) ، وأن امكان توليد جمل جديدة إنما يتم عن طريق قاعدة الاستبدال التي تكشف عن مهارة المتكلم الذي يحسن استبدال الوحدات النحوية الواحدة بالأخرى استنادا إلى وظيفة الوحدة النحوية في السياق ، وإلى العلاقة التي تربط بينها وبين الوحدات النحوية الأخرى (٢) .

أما في التركيب فان العلاقة الداخلية بين الأجزاء والموقع الوظيفي يقرران إمكان تصنيف الوحدات تصنيفاً واحداً استناداً إلى قاعدة الاستبدال ؛ لأن استبدال مكون نحوي بآخر داخل التركيب وسيلة تصنيفية للتحليل النحوي ؛ وللكشف عن الوظيفة الدلالية للمكونات الأساسية ؛ والوقوف على العلاقات المسموح بها للمكونات داخل البناء (٣) .

وتظهر ظاهرة الاستبدال النحوي في أسلوب القرآن الكريم بأربع صور في نصوص كثيرة ؛ منها استبدال أداة بأداة للحصول على نص جديد ذي دلالة مباينة للنص الأول ، الذي يشبهه في جوانب كثيرة ، إلا في دلالته ؛ من ذلك قوله – تعالى – : ((قُلْ سيروا في الأرْضِ ثمّ انظُروا كيف كان عاقبَةُ المكذبين)) (٤) ، وقوله : ((قل سيروا في الأرْضِ فانظُروا كَيف كان عاقبةُ المجرمينَ)) (٥) ، فقد استبدلت الفاء بـ (ثم) بين الآيتين ومنها ما يتعلق باستبدال صيغة بصيغة ، كـ(المجرمين) بـ (المكذبين) في الآيتين المذكورتين أيضاً ؛ وكاستبدال الصيغة الفعلية (انْفَجَرَتْ) بنظيرتها (انْبَجَسَتْ) في قوله : ((وأوحَينا إلى موسى إذ استَسْقاهُ قَومُهُ أن

(1)Harms–Universals In Linguistics Theory, Texas 1972: P. 172.
(2) Hammarstrom–Linguistics Units and Items, New York, 1976: P 10.
(3) Introduction To Theoritical Linguistics: P. 142.

(٤) الأنعام – آ : ١١ .
(٥) النمل – آ : ٦٩ .

اضربْ بعصاكَ الحجرَ فانبجستْ منهُ اثنتا عشرةَ عيناً)) (١) ، وقوله : (وإذِ استسقى موسى لقومه فقُلنا اضربْ بعصاكَ الحجرَ فانفجرتْ منهُ اثنتا عشرةَ عيناً)) (٢) .

وربما جاء الاستبدال دلالياً في العبارة القرآنية لتركيب نحوي بآخر من قبيله ، كما في قوله — تعالى — : ((فبدّلَ الذين ظلموا قولاً غيرَ الذي قيلَ لهُمْ فأرسلنا عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون)) (٣) ، وقوله : ((فبدّلَ الذينَ ظلموا قولاً غيرَ الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون))(٤) ، فقد استبدل التركيب الفعلي : (أنزلنا) بنظيره : (أرسلنا) ، و (يفسقون) بـ (يظلمون) . وثمة نصوص قرآنية وقع فيها الاستبدال بين المتغايرات التي لاتدخل في أطر ما عرضناه في الفصول الثلاثة الأولى ، كاستبدال الصيغة بالتركيب الفعلي في قوله — تعالى — : ((فيهما عينانِ تجريانِ)) (٥) ، وقوله : ((فيهما عينانِ نضّاختانِ)) (٦) ، واستبدال الوصف الجملة بالوصف المفرد ، كقوله — تعالى — : ((فأخذتهُمُ الصيحةُ بالحق فجعلناهُم غثاءاً فبعداً للقومِ الظالمينَ)) (٧) ، وقوله : ((ثمّ أرسلنا رسُلنا تترى كلّما جاء أمّةً رسولُها كذّبوهُ فأتبعنا بعضَهُم بعضاً وجعلناهم أحاديثَ فبُعداً لقومٍ لايؤمنونَ)) (٨). كل هذا مما تتجه دراستنا هذه إلى تصوره ووصفه بما يقرّب سره الدلالي إلى القارىء ، ويضع نصب عينيه مادة نافعة في تمثل الإعجاز ونحو القرآن .

(١) الاعراف — آ : ١٦٠ .
(٢) البقرة — آ : ٦٠ .
(٣) الاعراف — آ : ١٦٢ .
(٤) البقرة — آ : ٥٩ .
(٥) الرحمن — آ : ٥٠ .
(٦) س . ن — آ : ٦٦ .
(٧) المؤمنون — آ : ٤١ .
(٨) س . ن — آ : ٤٤ .

وقد حاولنا ان نجمع هذه المتغايرات في فصل أخير ،رصدنا فيه كثيراً من وجوهها لتأخذ في بناء رسالتنا وضعها المستقل الذي لا يتماث ويضيع فـــي أثناء عرضنا الشامل لاستبدالات الأدوات بالأدوات ،والصيغ بالصيـــغ ، والتراكيب بالتراكيب ، وهي – نعني : المتغايرات – على كثرة أنواعها قليلة الأمثلة في النـــص القرآني ، ولهذا آثرنا الايماء السريع اليها في هذا المقام لنلفت النظر اليهـــا ابتداءاً ،ولتلحظ في مواضعها من البحث مفصلة استكمالاً لمادته ،وتغطيـــة لنسحته النحوية في كتاب العربية الأكبر .

((المصادر والمراجع العربية))

الكتب القديمة والحديثة :

– إحياء النحو ، ابراهيم مصطفى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة – ١٩٥٩ م .

– الأدب الصغير و الأدب الكبير ، عبد الله بن المقفع (ت ١٤٢ هـ) ، دار صادر ، بيروت . د . ت .

– أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) ، تصحيح : محمد رشيد رضا ، دار المطبوعات العربية ، بيروت ، د . ت .

– الأسلوب ، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، أحمـــد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د . ت ، ط ٥ .

– الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم ، محمد كريم الكواز رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب بجامعة بغداد ، ١٩٩٠ م .

– الأسلوب والأسلوبية ، بيير جيرو ، ترجمة : الدكتور منذر عياشـــي ، مركز الانماء العربي ، بيروت د . ت .

– الأسلوب والأسلوبية ، كراهام هاف ، ترجمة : كاظم سعد الديـــن ، دار آفاق عربية ، بغداد ١٩٨٥ م .

– أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، الدكتور زايف خرما ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٧٨ م.

— أضواء على فكرة النظم ، الدكتور جليل رشيد فالح ، أمالٍ مخطوطة ، القيت أصولها على طلبة الدراسات العليا في قسم اللغة العربية بكلية آداب جامعة الموصل .
— إعجاز القرآن ، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١ م ، ط ٣ .
— الالسنة ، علم اللغة الحديث ، المبادىء والاعلام ، الدكتور ميشال زكريا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٣ م ، ط ٢ .
— البلاغة تطور وتاريخ ، الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ م ، ط ٤ .
— البلاغة والأسلوبية ، الدكتور محمد عبد المطلب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤ م .
— البنى النحوية ، نوم جومسكي ، ترجمة : الدكتور يوئيل يوسف عزيز . مراجعة : مجيد الماشطة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧ م
— بيان إعجاز القرآن ، الخطابي (ت ٣٧٧ هـ) ، ضمن : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق : محمد خلف أحمد والدكتور محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٦ م ، ط ٣ .
— البيان العربي ، دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى ، الدكتور بدوي طبانة ، دار العودة ، بيروت ١٩٧٢ م ، ط ٥ .
— البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ، تحقيق وشرح ، عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٥ م ، ط ٥ .